الباب الأول

نبذة تاريخية

نشأة الصهيونية:

يقول الأستاذ الدكتور أسعد السحمراني فى تعريف كلمة صِهْيون(١) هى كلمة كنعانية بمعنى الجبل المشمس أو الجاف، ومن معانيه الحصن، وصِهيون هى ربوة تطل على مدينة القدس اتخذها اليبّوسيون وهم من أصل كنعاني موقعاً وحصناً يسكنه الحاكم، وكان ممن أقام فيها الشيخ سالم اليبوسي حوالي عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد، فتدوين العهد القديم بأقسامه الثلاثة التوراة، وأسفار الأنبياء،والكتابات، استمر حوالي ثمانية قرون، وقد بدأ التدوين في القرن الحادي عشر قبل الميلاد وظهرت أول نسخة من العهد القديم في القرن الثالث قبل الميلاد، وقد شحن كتاب العهد القديم نصوصه بمزاعم الشعب المختار التي قادتهم إلى الإستعلاء والعنصرية، وبكتابة التاريخ وفق أهوائهم وأطماعهم وقد حشوه بمزاعم مختلفة عن حقوق تاريخية في فلسطين والقدس، وهي أرض كنعان(٢) ولا علاقة لهم بها، إذن لقد انطلقت الأطماع الصهيونية فى فلسطين من نصوص في العهد القديم منها الزعم القائل وأعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك ، جميع أرض كنعان ملكاً مؤبداً ويكون لهم إله، وفي

١- زعماء صهيون - فلادمير جابوتنسكى وفارى بلايك ص ٥

٢- صراع القوى حول القرن الإفريقى - صلاح الدين حافظ، ، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٤٩ ص١٣- ١٤

نص آخر في ذلك اليوم بَتَّ الرّب مع ابراهيم عهداً قائلاً لنَسلِك نعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات، إذاً الصهيونية حركة تعمل بدوافع متعددة منها الدافع الديني لاغتصاب فلسطين وغيرها من الأراضي العربية وبالتالي فإن الصهيونية حركة تعمل من أجل الغزو الإستيطاني والتوسعى.

نشأة الحركة الصهيونية الغير يهودية:

مسار الحركة الصهيونية الغير يهودية بدأ منذ أكثر من أربعة قرون في أوروبا مع الديانة المسيحية البروتستانتية التي أعطت تفسيراً لبعض نصوص العهد القديم، هذا التفسير البروتستانى يفرض الإلتزام ببعض النبوءات المزعومة في العهد القديم(١) والتي تهدف فى مجملها لإغتصاب الأرض الفلسطينية تحت ستار أنها أرض الميعاد، وإلتزام البروتستانتية بالعهد القديم أدى إلى نشأة الصهيونية اليهودية فيما بعد تحت كنفها، ويؤكد ذلك أن الحديث عن حق يهودي في فلسطين قد إنطلق من بريطانيا التي غير ملكها هنري الثامن في أواخر القرن السادس عشر تبعيته إلى الطائفة البروتستانتية، وقد كثر الحديث في بريطانيا فى ذلك الوقت بين البروتستانت عن عودة المسيح الثانية، وأنه لن

١- صراع القوى ، مرجع سابق، ص١١ إلى -١٤.

يعود الا بعد استيلاء اليهود على الأرض الفلسطينية وتجمعهم بها وفق الوعد المزعوم فى ديانتهم، واليهود حسب زعم البروتستانت سوف يعترفون بالمسيح مع مجيئه فى المرة الثانية، وظهرت من البروتستانت البريطانيين مجموعة متطرفة دينياً أستخدمت كلمة أصولية لتعريف هذه الجماعة لأول مرة في القامـوس الأوروبي **fundamentalism** كما تمت تسميتهم بالتطهيريون **puritan**، وشكل هؤلاء التطهيريون أول المجموعات التي هاجرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد اكتشافها، وكان البيوريتان من المتعصبين البروتستانت واعتبروا غزوهم لأرض نيوإنجلند رسالة خصهم الله بها ، وبرز فيهم البعد الديني المشبع بروح الإستعلاء والغطرسة الذى إستمدوه من الثقافة التي إستقوها من العهد القديم، وكان من نتائج غزوهم إبادة عشرات الملايين من الهنود الحمر سكان البلاد الأصليين،واسترقاق ملايين الأفارقة وبعدها التصرف على أنهم أمة مختارة ولها دور قيادي عالمي.

نشأة الحركة الصهيونية اليهودية:

الصهيونية اليهودية بدأت مع هرتزل في عام١٨٩٧ م (١) وانطلقت كحركة سياسية نتيجة لرغبة يهودية وإرادة أوروبية تستهدف العمل

١- الدور الإسرائيلى فى الساحة الأفريقية - إبراهيم ميرغنى ص٧٢ .

على زرع جسم غريب في خاصرة الأمة العربية والإسلامية حتى يمنعوا اتحادها وليحققوا المصالح الأوروبية والبريطانية(١) بالتحديد، ولقد فرضت المصالح الأوروبية حينها تبنى قيام الدولة اليهودية فى أرض فلسطين لخدمة مصالحها من جهة، وأرادت أن تتخلص من الأحياء اليهودية المغلقة من جهة أخرى، ومن هنا نشأت الحركة الصهيونية اليهودية في أوروبا الغربية ، وبدأت المنظمة الصهيونية اليهودية فى ترحيل اليهود إلى فلسطين للقيام بعملية الغزو الاستيطاني الإحلالي، والجدير بالذكر أن عدد اليهود في فلسطين كان عام ١٨٣٧م حوالى ثمانية آلآف نسمة، وبحلول عام ١٩٠٣ م وصل عدد اليهود الوافدين إلى فلسطين مع أهل البلد ٢٥٠٠٠ نسمة.

إن الصهيونية بنوعيها اليهودية وغير اليهودية تقوم على منهج وأسلوب عمل واحد هو منهج الإغتصاب وثقافة العصابة المتمثل فى ثقافة رعاة البقر، فالولايات المتحدة الأمريكية سكانها الأصليين هم الهنود الحمر حتى القرن السادس عشر الميلادي، وحين قدم إليها التطهيريون البيوريتان تلك الفئة المتطرفة من البروتستانت الإنجليز قاموا دون رحمة بإبادة الهنود الحمر أهل البلاد والإستقرار مكانهم حيثكان غزواً استيطانياً إحلالياً، كما قامت كذلك بغزو استرقاقي

١- أحجار على رقعة من الشطرنج - وليم كار ص ١٣٨.

وحشى غير إنسانى للقارة الأفريقية ،فكانت تلاحق فيه الأفارقة لإستعبادهم وإسترقاقهم ونقلهم بالبواخر لمستعمراتهم الجديدة فى نيو إنجلند، وكانت تلقي بالعشرات منهم فى البحر عندما تتعالى أمواج المحيط لتخفيض حمولة سفنهم خوفاً من أن يبتلعها موج المحيط الأطلسى، على ذلك النهج قامت الدولة في نيوإنجلند، لقد قامت هذه الدولة على دماء الهنود الحمر أهل الوطن الأصليين والأفارقة المسترقين الذين عمروا تلك الأرض تحت وطأة الاستعباد، نعم لقد قامت تلك الدولة على غير ما هو طبيعي فى قيام بقية الدول،ونفس ماجرى فى نيو إنجلند جرى في فلسطين، فلقد جاءت العصابات الصهيونية اليهودية المسلحة المدعومة من بريطانيا والغرب وبعد الحرب العالمية الثانية من أمريكا،ومارست هذه العصابات غزواً استيطانياً إحلالياً فأبادت بالمجازر أغلب الفلسطينيين أصحاب الأرض الأصليين،وهجرت قسرياً الأغلبية الأخرى من المواطنين الفلسطينيين، وقامت هذه العصابات بتأسيس دولة إسرائيل على الأراضى الفلسطينية مغتصبة إيها بنفس الطريقة التي اغتصب بها البروتستانت المتطرفون التطهيريون أرض الولايات المتحدة الأمريكية من سكانها الأصليين، وكليهما عصابات احتلت أرضاً طردت وقتلت أهلها وأقامت عليها.

إن العنصرية الصهيونية اليهودية ترتكز على الفكر الديني اليهودي من العهد القديم ومن التلمود، وقد ذهب بعضهم إلى أن الصهيونية ناشئة

من ثقافة التلمود وتعاليمه، والحقيقة أن العنصرية الصهيونية بكل جوانبها نابعة من أسفار العهد القديم والتلمود معاً، فهي إذاً توراتية تلمودية وهذا الأمر واضح من النصوص، ولا يحتاج التعرف عليه إلى مشقة، وأول منطلقات هذه العنصرية فكرة الشعب المختار(١) الذى ولد فيهم عقدة الإستعلاء والنزعة إلى احتقار كل ما هو غير يهودي، حيث يسمون غيرهم الجوييم أو الأغيار، ومن النصوص التي تؤصّل للإجرام والقتل عندهم نص من سفر تثنية الإشتراع في الإصحاح العشرين يقولون فيه حين تقترب من مدينة لكي تحاربها أدعها الى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب يكون لك تحت السخرة ويستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدّ السيف، وأما النساء والأطفال وكل ما في المدينة يكون غنيمة لك وأما مدن أولئك الأمم التي يعطيها لك الرب إلهك ميراثاً فلا تبق منها نسمة، وفي نص آخر من السفر نفسه في الإصحاح ١٣ يقولون فاضرب أهل تلك المدينة بحدّ السيف وأبسلها بجميع ما فيها حتى بهائمها بحدّ السيف وجميع سلبها أجمعه إلى وسط ساحتها وأحرق بالنار تلك المدينة وجميع سلبك جملة للرب إلهك فتكون ركاماً إلى الدهر لا تبنى من بعد، هذه النصوص قليل

١ - زعماء صهيون - مرجع سابق،ص٨١.

من كثير مما ورد في العهد القديم وكله يدعو إلى القتل والعنف والعدوان والإجرام وهذا ما يظهر جلياً فى كتاب المؤرخ الفرنسى فاتسنت مونتيه فى كتابه الصهيونية أكبر خطر يهدد السلام العالمى(١) حيث كان مونتيه بفلسطين فى أربعينيات القرن الماضى وشهد ما فعله الصهاينة فيها من جرائم فوثق ذلك بالصور والوثائق، وإذا كانت النصوص الدينية تدعو إلى هذا فإن الفكر السياسي عندهم والأدب وكل ما تخطه أقلامهم لن يكون إلا في هذا الإتجاه، ونصوص التلمود جاءت مكملة لهذا التحريض ضد كل من هو غير يهودي،ومن نصوص التلمود هذا النص الذي قالوا فيه: الخارج عن دين يهود حيوان على العموم فسمّه كلباً أو حماراً أو خنزيراً والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان، وقال الحاخام آبار بانيل المرأة غير اليهودية هي من الحيوانات، وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة يهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب أمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان وهو على صورته الحيوانية كلا ثم كلا، فإن ذلك منابذ للذوق والإنسانية فإذا مات خادم يهودي أو خادمته وكانا من المسيحيين فلا يلومك أن تقدم له التعازي بصفة كونه

١ - زعماء صهيون- مرجع سابق- ص٥.

فقد أنساناً ولكن بصفة كونه فقد حيواناً من الحيوانات المسخرة له.

اليمين المسيحى والصهيونية اليهودية في الإدارة الأمريكية:

إن الصهيونية غير اليهودية تبرز بشكل قوي في الإدارة الأمريكية منذ أكثر من نصف قرن تقريباً، وقد اتسع انتشار هذا التيار في الإدارات الأمريكية المتعاقبة، ويقدر أتباع اليهودية غير الصهيونية بحوالى خمسين مليوناً من بين البروتستانت التطهيريون في الولايات المتحدة الأمريكية،وهؤلاء جميعاً يؤمنون بالنبوءات وبالحقوق التاريخية المزعومة لليهود في فلسطين، وعلى سبيل المثال عند زيارة الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر لفلسطين المحتلة في مارس عام ١٩٧٩ ، قال في كلمة له أمام الكنيست الإسرائيلي إننا نتقاسم معاً تراث التوراة ويقصد بذلك التزام الإدارة الأمريكية بالمشروع الصهيوني بكل خطواته، وفي عام ١٩٨٠ م،عندما ترشح رونالد ريجان لرئاسة الجمهورية في أمريكا اعتمد مع سواه من المرشحين خطاباً انتخابياً برزت فيه الأبعاد الدينية وعملية الإلتزام بالفكر الصهيوني غير اليهودي الذي يلتقي مع الفكر الصهيوني، وفي عهده بدأ تطور نشاط التيار الصهيوني الأمريكي من خلال الإقبال من قبل أولياء الأمور على إدخال أولادهم إلى المدارس التابعة لمؤسسات دينية تحمل الفكر الصهيونى،وبرزالقساوسة المتصهينين في وسائل الإعلام الأمريكية، وهذه التيارات ماكانت قابلة

للظهور لولا وجود أرضية خصبة للصهيونية منذ اجتياح الأرض الأمريكية من قبل عصابات الأصوليين المتعصبين البروتستانت التطهيريون في أواخر القرن السادس عشر الميلادي، فالصهيونية بنوعيها اليهودية وغير اليهودية المتمثلة فى الدولة الإسرائيلية والإدارة الامريكية، قد تطابق مشروعها ببعده الديني والسياسي والإقتصادي، وأطماعها ومخططاتها لا تختلف عن بعضها وتعد اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة المعروفة باسم إيباك(١)المؤسسة عام ١٩٥١ م هى واحدة من أشهر وأقوى جماعات الضغط اليهودية في الولايات المتحدة، ولدى إيباك تأثيرها القوي على السياسة الخارجية الأمريكية خاصة في مجال الصراع العربي الإسرائيلى، مع الوضع فى الإعتبار أن قطاعات واسعة من المجتمع الأمريكي لا تؤيد الصهيونية ولا المشروع الصهيونى.

أفريقيـــا بين الخلافات الداخلية والتدخلات الخارجية

تمر أفريقيا بأخطر مرحلة في تاريخها المعاصر وتتمثل في صراع متأجج بين قياداتها ، وتوغل متنامى لأجهزة العدو الصهيوني متزامناً

١- عقل أمريكا - حسن عبده ربه حسن- مؤسسات صناعة الرؤية والفكر فى أمريكا - ص ٨٦.

مع تزايد وتيرة تنفيذ مشروع الاستقطاب الدولي يأتي ذلك في وقت اعتقد البعض أن أفريقيا بعد أن استكملت استقلالها وبعد أن اكتشفت عمق أزمتها خصوصاً أوضاعها الاقتصادية والأمنية والأكثر من ذلك حالة عدم الاستقرار الداخلي والحدودي ،أن طوق نجاتها هو تكامل خططها واستثمار أكبر لمواردها والتغلب على معاناتها واتحادها .

ووفر الوضع الدولي بعد انتهاء الحرب الباردة ودخول العالم إلى العولمة وما توفره من فرص وما تفرضه من تحديات، وفر لأفريقيا خيار إمكانية تجاوز اختلالها وتعزيز قدراتها غير أن استمرار حالة الصراع وتغلب حالة عدم الاستقرار وتزايد مناخ عدم الثقة بين قادتها فتح أفريقيا مرة ثانية أمام احتمالات خطيرة يمكن أن تدفع نحو منعطفات تتطلب قراءة متأنية وتستدعى استجابات وافيه في وقت تحاصر أفريقيا أربع ظواهر (١) :-

<u>الظاهرة الأولى:</u>

هى أن العالم على أبواب تجاوز المرحلة الانتقالية التي صاحبت نظامه العالمي بمعنى أن العالم بدأ في التعافى من نتائج انتهاء الحرب الباردة ولهذا نلاحظ نمو وتوسع الدور الروسي وانكماش تأثير إدارة القطب الواحد وتزايد اهتمامات صينية تحركها جرعة اقتصادية تتطلبها

١-عن مقال لـ. علي سعيد البرغثي منشور على النت - بتصرف

أوضاع أسواق الصين الداخلية،وهو أمر تستقبله أفريقيا دون أن تتجاوز مرحلة الحوار حول أولوياتها ،بل الأكثر من ذلك تستقبله وهى مكبلة بأزمات تعصف بكل أطرافها .

الظاهرة الثانية :

وتتمثل في تداعيات الأزمة المالية العالمية ورغم أن الكثير منا يعتقد أن مؤسسات الدول الغربية هي الأكثر تأثراً بالأزمة ، إلا أنه اتضح بما لايدع مجالاً للشك أن تأثر أفريقيا بهذه الأزمة أكثر عمقاً بل إن الأزمة المالية العالمية تحولت في أفريقيا إلى أزمة اقتصادية انعكست نتائجها على المواطن الأفريقى وساهمت في تفاقم الأوضاع الاقتصادية وتزايد المعاناة الإنسانية وتحولت الكثير من الدول الأفريقية إلى بيئة طاردة يهجرها المواطن بحثاً عن لقمة العيش .

الظاهرة الثالثة :

وتتمثل في إعادة إحياء ظاهرة الاستقطاب، وإدراك أن ظاهرة الاستقطاب في أفريقيا لها ظروفها التي كانت تحكمها في الماضي غير أن الأوضاع الدولية التي سادت خلال العقدين الماضيين ساهمت في تعطيل مؤقت لهذه الظاهرة ومع قرب انتهاء المرحلة الانتقالية للأوضاع الدولية يتضح تنامي ظاهرة الاستقطاب الدولي ورغم أن حراك القوى العظمى الراهن في أفريقيا يتقمص ثوب اقتصادي ومحاولة لكسب الأسواق الأفريقية ومصادر الطاقة الواعده، إلا أن التوزيع الجغرافي

لهذا الحراك يؤكد الأهداف الإستراتيجية لهذه القوى ، والاستقطاب الدولي في إطار العولمة سيكون حتماً مختلفاً من حيث أولوياته عن مفهوم الاستقطاب الذي ساد قبل انتهاء الحرب الباردة ، ويتجلى هذا الاختلاف في تقدير الوزن النسبي لمفهوم الحدود الإستراتيجية بدلاً من الحدود الجغرافية للدول ونصب مظلة التعاون بدلاً من حلبة الصراع في تقسيم أفريقيا .

الظاهرة الرابعة:

وتتمثل في عودة القوى الصهيونية إلى أفريقيا وتزايد وتيرة تأثيرها سواء في الصراعات الدائرة حالياً أو في حالة عدم الاستقرار التي تشهدها الكثير من دول أفريقيا وهذه الظاهرة هي الأخطر لأسباب تتعلق بالخبرة المتراكمة والإمكانيات التقنية والموارد المؤثرة التي تمتلكها القوى الصهيونية ، في وقت يظهر بكل وضوح تخلى الأطراف الأخرى وخصوصاً العربية عن التواجد المؤثر في أفريقيا.

والخلاصة أنه تركزت الجهود خلال الفترة الماضية على التفاوض حول الكيفية التي يجب على أفريقيا اتخاذها لاستكمال متطلبات مؤسساتها وتوحيد جهودها في وقت تشهد فيه حالة تفاقم في أوضاعها السياسية والاقتصادية والأمنية غير ان استمرار حالة التفاوض تزامناً مع تنامي ظاهرة صراع القيادات وتطلع الزعامات شكل أحد أهم عوائق التقدم نحو التكامل .

ومع وضوح الرؤية فيما يتعلق بسعي الدول الكبرى للعودة بقوة إلى أفريقيا تضاعف حجم المخاطر وتأكد أن ظاهرة الاستقطاب واقع لا يمكن تجاهله ، خصوصاً وأن المشهد الراهن يستكمل معالمه بتنامي قوة التركيز الصهيوني في أفريقيا وانعكاساته المحتملة على التواجد العربي ومشروع الاتحاد الأفريقى بصفة عامة .

لمحة تاريخية عن العلاقة بين أفريقيا وإسرائيل

منذ أن انعقد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧م في مدينة بازل السويسرية ، تطرق ذلك المؤتمر إلى كيفية تأمين مياه الدولة اليهودية التي ستقام على ارض فلسطين ، فمؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتزل بدأ مفاوضات في سنة ١٩٠٣م مع الحكومة البريطانية ومع المندوب السامي في مصر اللورد كرومر في عهد الملكة فيكتوريا ووزير خارجيتها اللورد آرثر بلفور صاحب الوعد المشئوم ، من أجل توطين يهود العالم في سيناء توطئة للاستيلاء على فلسطين واستغلال مياه سيناء الجوفية ومن بعدها مياه نهر النيل ، حيث وافقت حكومة الاستعمار البريطانية في ذلك الوقت على ذلك شريطة تنفيذها بسرية تامة وبذلك وضع زعماء الحركة الصهيونية قضية المياه في المقام الأول حينما رفعوا شعار من نهر الفرات إلى نهر النيل أرضك يا إسرائيل ، ومنذ قيامها كرست الدولة العبرية هذا المفهوم بسرقتها لمياه الدول

العربية (الأردن ، سوريا ، لبنان ، فلسطين ، ومصر) .

ومنذ قيام كيان الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٤٨على أرض الشعب العربي الفلسطيني ، لم تكتفي بما اقترفته أيادي عصاباتها من قتل وتشريد لشعب فلسطين ، وتزييف للحقائق ، وطمس للمعالم ، منذ أن وطأت أولى أقدام أرض فلسطين العربية ، توطئة لسيطرتها وهيمنتها المستندة إلى الإرهاب والغطرسة وقوى الاستعمار ، حيث قامت مجموعة من هؤلاء المستوطنين في عام ١٨٧٨ بالاستيلاء على ٣٣٧٥ دونما من أراضى قرية ملبس وأقاموا عليها مستوطنة أسموها بتاح تكفا ، ويَعتبر المؤرخ اليهودي والترلاكور عام ١٨٨١ بداية التاريخ الرسمي للاستيطان اليهودي في المنطقة العربية ، بعد أن وصل حوالي ٣٠٠٠ يهودي من أوروبا الشرقية إلى فلسطين ، وتمكنوا من إقامة عدد من المستوطنات في الفترة الواقعة بين ١٨٨٢-١٨٨٤ ، وفي عام ١٨٨٢ تم إنشاء المستوطنات التالية :١- مستوطنة ريشون ليتسيون ٢- زخرون يعقوب ٣- وروش يبنا ، وفي عام ١٨٨٣ مستوطنات ١- يسود همعليه ٢- عفرون ، وفي عام ١٨٨٤مستوطنة جديرا ، وفي عام ١٨٩٠ أقيمت مستوطنات:١- رحوبوت ٢- مشمار هيارون .

ولم تكتف دولة الاحتلال بأعمال القتل والعربدة والتهجير ضد المواطنين العرب الفلسطينيين ، والاستيلاء على الأرض وما بها من خيرات طبيعية ، بل تعدت تطلعاتها إلى الهيمنة والسيطرة على خيرات

الوطن العربي من المحيط إلى الخليج ، وفي مقدمة هذه الخيرات المياه.

مراحل تطور العلاقات الإسرائيلية الأفريقية

شهدت سياسات التغلغل الإسرائيلي في أفريقيا مراحل متعددة بحيث يمكن التمييز بين خمس مراحل أساسية في تطور مسيرة العلاقات بين إسرائيل وأفريقيا وهي :

المرحلة الأولى ١٩٤٨ - ١٩٥٧م:

البحث عن الشرعية وتأمين الكيان :

بعد إعلان قيام الدولة العبرية عام ١٩٤٨ أوْلى صانع القرار الإسرائيلي اهتماماً كبيراً بتأسيس علاقات قوية وراسخة مع القوى الكبرى الأساسية في العالم مثل الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي ويعني ذلك أن إسرائيل في بحثها عن شرعية الوجود على الساحة الدولية وتأمين وجودها لم تنظر إلى المستعمرات الأفريقية، بل انصب جل اهتمامها على القوى الاستعمارية الأوروبية ومن أبرز المؤشرات التي تؤكد هذا المنحى الإسرائيلي أن إسرائيل لم يكن لديها فى نهاية عام ١٩٥٧م سوى سبع سفارات فقط في العالم بأسره، ست منها في أوروبا وأمريكا الشمالية .

ومن الواضح أن القارة الأفريقية جنوب الصحراء كانت بمثابة أراض مجهولة بالنسبة للعاملين في وزارة الخارجية الإسرائيلية، ولم ترغب

الدول الأفريقية في إقامة علاقات مع دولة لديها العديد من الأعداء لذلك كان منطقياً ألا يوجد دبلوماسي إسرائيلي واحد مقيم شمال جوهانسبرج حتى حدوث انفراجة في العلاقات الإسرائيلية الأفريقية مع حصول غانا على استقلالها عام ١٩٥٧م على أن نقطة التحول الأساسية التي دفعت إلى حدوث تحول كبير في الدبلوماسية الإسرائيلية تجاه أفريقيا تمثلت في عقد مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥م؛ إذ لم توجه الدعوة إلى إسرائيل لحضور هذا الحدث التاريخي الهام، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أدان المؤتمر في بيانه الختامي احتلال إسرائيل للأراضي العربية .

وهناك متغيرات أخرى دفعت إلى توجيه أنظار إسرائيل إلى أفريقيا وليس إلى آسيا وهو ما أدى إلى دخول العلاقات الإسرائيلية الأفريقية في الستينيات مرحلة جديدة .

المرحلة الثانية ١٩٥٧ ـ ١٩٧٣م: سياسات التغلغل :

يمكن التأريخ لبداية انطلاق إسرائيل في أفريقيا بعام ١٩٥٧م حيث كانت إسرائيل أول دولة أجنبية تفتح سفارة لها في أكرا بعد أقل من شهر واحد من حصول غانا على استقلالها وقد لعبت السفارة الإسرائيلية في أكرا دوراً كبيراً في تدعيم العلاقات بين البلدين، وهو ما دفع إلى افتتاح سفارتين أخريين في كل من منروفيا وكوناكري؛ وذلك تحت تأثير إمكانية الحصول على مساعدات تنموية وتقنية من إسرائيل وقد تجسدت الرغبة الإسرائيلية في تأسيس علاقات قوية مع أفريقيا في قيام جولدا مائير ـ

وزيرة الخارجية الإسرائيلية آنذاك - بزيارة أفريقيا عام ١٩٥٨م لأول مرة حيث اجتمعت بقادة كل من ليبيريا وغانا والسنغال ونيجيريا وكوت ديفوار وهناك مجموعة من المتغيرات الدولية والإقليمية أسهمت في تكثيف الهجمة الإسرائيلية على أفريقيا، ومن ذلك :

*حصول عدد من الدول الأفريقية على استقلالها في الستينيات أدى إلى زيادة القدرة التصويتية لأفريقيا في الأمم المتحدة حيث كان الصراع العربي الإسرائيلي من أبرز القضايا التي تطرح للتصويت .

*إنشاء منظمة الوحدة الأفريقية عام ١٩٦٣م وضع تحدياً أمام إسرائيل؛ حيث إنها لا تتمتع بالعضوية في هذا التجمع الأفروعربي .

*عضوية مصر المزدوجة في كل من جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الأفريقية أعطاها فرصة إقامة تحالفات مع بعض القادة الأفارقة الراديكاليين من أمثال نكروما وسيكوتوري وبحلول عام ١٩٦٦م كانت إسرائيل تحظى بتمثيل دبلوماسي في كافة الدول الأفريقية جنوب الصحراء باستثناء كل من الصومال وموريتانيا ومع ذلك فإن أفريقيا كانت بمثابة ساحة للتنافس العربي الإسرائيلي .

المرحلة الثالثة ١٩٧٣ - ١٩٨٣م:

أعوام المقاطعة :

قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣م كانت إسرائيل تقيم علاقات دبلوماسية مع خمس وعشرين دولة أفريقية بيد أنه في الأول من يناير عام ١٩٧٤م

تقلص هذا العدد ليصل إلى خمس دول فقط هي جنوب أفريقيا، وليسوتو، ومالاوي، وسوازيلاند، وموريشيوس ولا يخفى أن الدول الأفريقية التي قامت بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل قد فعلت ذلك تأييداً للموقف المصري على أساس أن مصر دولة أفريقية تسعى إلى استعادة أراضيها من الاحتلال الإسرائيلي ويحاول بعض الباحثين تفسير الموقف الأفريقي على أنه كان يرمي إلى الحصول على المساعدات العربية ولا سيما من الدول النفطية .

وهناك مجموعة من العوامل أسهمت في دعم الموقف العربي في مواجهة الكيان الصهيوني خلال عقد السبعينيات فقد شهدت هذه الفترة ظهور تجمعات لدول العالم الثالث تعبر عن مستوى أو آخر من التضامن مثل منظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) ومجموعة الـ ٧٧ كما أن إسرائيل جوبهت بسلاح البترول العربي ودعم كثير من دول العالم الثالث لموقف العرب ففي عام ١٩٧٣م أصبح الرئيس الجزائري هواري بومدين رئيساً لحركة عدم الانحياز، وأثناء مؤتمر الحركة في الجزائر في العام نفسه اتخذ المؤتمرون قرارات تؤيد كلاً من مصر وسوريا والأردن في استعادة أراضيها المحتلة،كما تدعو إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل وكانت كل من كوبا وزائير وتوجو من أوائل الدول التي تستجيب لدعوة المقاطعة تلك .

وفي عام ١٩٧٤م رُشح وزير الخارجية الجزائري عبد العزيز

بوتفليقة رئيساً للجمعية العامة للأمم المتحدة وقد استطاع العرب وبمساعدة قوتهم النفطية إضفاء مزيد من الشرعية الدولية على منظمة التحرير الفلسطينية ولا غرو أن تتم دعوة ياسر عرفات في ١٩٧٤/١١/١٣م لالقاء خطاب أمام الجمعية العامة، وأن يعامل معاملة رؤساء الدول؛ وذلك بشكل غير مسبوق في تاريخ المنظمة الدولية .

إضافة لما سبق فقد نجحت الحملة العربية الرامية إلى عزل إسرائيل ووصفها بالعنصرية؛ حيث تمت مساواتها بالنظام العنصري في جنوب أفريقيا واستفادت الحملة العربية من المواقف والسياسات الإسرائيلية في أفريقيا مثل :

-الدعم الإسرائيلي للحركات الانفصالية الأفريقية على شاكلة بيافرا في نيجيريا وجنوب السودان .

- دعم وتأييد نظام التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا .

والخلاصة :أن الموقف الأفريقي وإن كانت له دلالات سياسية ودبلوماسية واضحة من زاوية الصراع العربي الإسرائيلي إلا أن إسرائيل ظلت على علاقة وثيقة - ولو بشكل غير رسمي- مع معظم الدول الأفريقية التي قامت بقطع العلاقات معها وليس أدل على ذلك من أن التجارة الإسرائيلية مع أفريقيا خلال الفترة من عام ١٩٧٣م وحتى عام ١٩٧٨م قد تضاعفت من ٥٤.٨ مليون دولار إلى ١٠٤.٣ مليون دولار وتركزت أساساً في الزراعة والتكنولوجيا وبنهاية عقد السبعينيات

وأوائل الثمانينيات كثفت إسرائيل جهودها من أجل إعادة علاقاتها الدبلوماسية مع أفريقيا؛ حيث قام وزير خارجيتها بإجراء اجتماعات مباشرة مع الزعماء الأفارقة سواء في الأمم المتحدة أو في العواصم الأفريقية ومع ذلك فقد باءت هذه الحملة الأفريقية بالإخفاق، وهو الأمر الذي دفع إحدى الصحف الإسرائيلية إلى توقع عدم قيام أي دولة أفريقية كبرى بإعادة علاقاتها مع إسرائيل .

المرحلة الرابعة ١٩٨٢ - ١٩٩١م

العودة الثانية :

استمرت إسرائيل في سياساتها الرامية إلى العودة إلى أفريقيا؛ وذلك من خلال تدعيم وتكثيف اتصالاتها الأفريقية في كافة المجالات دون اشتراط وجود علاقات دبلوماسية وفي عام ١٩٨٢م أعلنت دولة أفريقية واحدة هي زائير عن عودة علاقاتها مع إسرائيل؛ لأن الرئيس موبوتو كان بحاجة ماسة للمساعدات العسكرية الإسرائيلية ولا سيما في ميدان تدريب الجيش وحرسه الجمهوري على أن الدول الأفريقية الأخرى التي حافظت على علاقات غير رسمية وثيقة مع إسرائيل لم تنهج نفس المسلك الزائيري، وربما يعزى ذلك إلى العوامل الآتية :

*أن قرار الرئيس موبوتو كان منفرداً، ولم يتم بالتنسيق مع الدول الأخرى وقد حاجج البعض بأن قرار قطع العلاقات مع إسرائيل كان برعاية منظمة الوحدة الأفريقية في أواخر الستينيات، ومن ثم ينبغي أن

يكون استئناف هذه العلاقات بقرار من المنظمة ذاتها .

*أن الدول العربية كثفت من حملتها الدبلوماسية المضادة؛ حيث استخدمت سلاح المساعدات الاقتصادية والتقنية كأداة للترغيب والترهيب في آن واحد .

*أن إسرائيل قامت في الأسبوع الأول من يونيو عام ١٩٨٢م بغزو لبنان وهو ما يؤكد نزعتها التوسعية والعدوانية .

المرحلة الخامسة ١٩٩١م سياسات التطبيع :

شهدت هذه المرحلة إعادة تأسيس العلاقات بين إسرائيل وأفريقيا مرة أخرى خاصة خلال عامي ١٩٩٢،١٩٩١م؛ وربما يعزى ذلك إلى :

*التغيرات في النظام الدولي وانعكاساته الإقليمية .

*سقوط النظم الشعبية والماركسية اللينينية في أفريقيا .

*الدخول في عملية التفاوض بين العرب وإسرائيل منذ مؤتمر مدريد .

وقد تسارعت عودة العلاقات الإسرائيلية الأفريقية؛ حتى إنه في عام ١٩٩٢م وحده قامت ثماني دول أفريقية بإعادة تطبيع علاقاتها مع إسرائيل وتسعى إسرائيل إلى تعزيز سياساتها الأفريقية بدرجة تفوق طموحاتها خلال عقد الستينيات وأوائل السبعينيات وطبقاً للبيانات الإسرائيلية فإن عدد الدول الأفريقية التي أعادت علاقاتها الدبلوماسية أو أسستها مع إسرائيل منذ مؤتمر مدريد في أكتوبر ١٩٩١م قد بلغ ثلاثين دولة وفي عام ١٩٩٧م بلغ عدد الدول الأفريقية التي تحتفظ بعلاقات

دبلوماسية مع إسرائيل ٤٨ دولة وتحاول إسرائيل جاهدة الاستفادة من دروس الماضي بما يرسخ أقدامها في القارة الأفريقية.

أسباب اهتمام اليهود بأفريقيا:

أولاًالموقع الإستراتيجي:

حيث أن أفريقيا تطل على البحر الأحمر والأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، وبها تقع أهم ثلاثة مضايق تؤثر على حركة التجارة العالمية، وقد ظهرت بالنسبة لاسرائيل أهمية البحر الأحمر ومضيق باب المندب بعد السيطرة البحرية المصرية واليمنية عليه في حرب ١٩٧٣م.

ثانياً: الحد من الوجود العربي والإسلامي في أفريقيا ومحاصرة المصالح المشتركة بين الدول العربية جنوب الصحراء وشمالها والوصول إلى منابع النيل.

ثالثاً: وجود جاليات كبيرة من اليهود في عدد من الدول الأفريقية مثل جنوب أفريقيا، وأثيوبيا، وزيمبابوي، وكينيا والكنغو الديمقراطية وقد قالت جولدا مائير عن أهمية وجود الجاليات اليهودية إن على إسرائيل في مواجهتها للدول العربية داخل حدودها وعلى المسرح الدولي أن تبذل

جهوداً فائقة لاكتشاف مسالك جديدة تمكّنها من اختراق الحصار المفروض عليها وأن تذكر أن لها حليفاً مخلصاً وأخوياً في يهود العالم.

رابعاً: ربط الوجود اليهودي في أفريقيا بأرض الميعاد عبر الزيارات والتبرعات المالية مقدمة لمجيئهم إلى إسرائيل وقد عبَّر ليفي شكوك عن زيارة اليهود للدولة العبرية قائلاً نعمل معهم ليعود كل واحد منهم حاملاً معه شيئاً من روح إسرائيل وصدى منجزاتها وبهجة كلامها.

خامساً: تشجيع الدول التي استعمرت القارة كفرنسا وبريطانيا والبرتغال وغيرها من الدول الإستعمارية لتهيئة القارة لقبول إسرائيل والسماح لها بفتح قنصليات في مدن أفريقية قبل الاستقلال وتمكينها من حرية الحركة بين الدول الأفريقية، إضافة للتسهيلات التي منحتها لإسرائيل لخدمة مصالحها، فقد استغلت الدولة الإسرائيلية نفوذ الدول الاستعمارية القديم والحديث لدعم علاقاتها مع دول أفريقيا، وما يؤكد هذا القرار الذي اتخذته السوق الأوروبية المشتركة بأن تكون إسرائيل مقراً لتدريب المبعوثين القادمين من الدول الأفريقية، وسعي الولايات المتحدة لإدخالها في أفريقيا عبر وكالات الأمم المتحدة المتخصصة.

من خلال الأهداف الإسرائيلية في أفريقيا وَضَحَت ضرورة دعم الدول الغربية في أوروبا وأمريكا للنشاط اليهودي لتحقيق تلك الأهداف، ومن

المعلوم أن السيطرة اليهودية على أوروبا نفسها نبعت في الفكر اليهودي أصلاً لتحقيق الأحلام والأهداف اليهودية في إيجاد الوطن والتمدد عبر العالم؛ لإحكام السيطرة، وتحقيق أهداف الأمن القومي الإسرائيلي؛ لذلك شكلت مساهمات مختلف الدول الغربية دعماً للوجود الإسرائيلي في أفريقيا.

وأيضاً برز الارتباط الأيديولوجي بين الصهيونية وحركة الجماعة الأفريقية والزنجية من خلال التعامل بخصوصية مع جماعات أفريقية بعينها؛تدعيماً لاستمرارها في السلطة إن كانت حاكمة،أو توسيعاً لدورها في نشر حالة عدم الاستقرار السياسي في بعض دول أفريقيا، كما في حالة السودان ويرى الباحثون أن هذه الخصوصية تنطلق من عدة أوجه، منها زعم تعرُّض كلٍّ من اليهود والأفارقة لاضطهاد مشترك؛ فكلاهما ضحايا للاضطهاد والتميز العنصري، وأن الشعب الأفريقي عانى من المآسي مثل ما عانى اليهود، وأن الشعبين اعتُبرا من الأجناس المنحطة عبر تاريخ المدنية الغربية.

ولقد توحَّدت الروابط الأفريقية الإسرائيلية وقويت بشكل أعمق في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، وهو ما يفسر تعزيز المخطط الإسرائيلي في أفريقيا على حساب السلامة الإقليمية لبعض الدول

الأفريقية مثل السودان ونيجيريا من جهة كما عملت على تكريس التفرقة العنصرية ضد بعض الشعوب الأفريقية من جهة أخرى.

وتخدم العلاقات أو الوجود الإسرائيلي في أفريقيا المصالح الغربية الاقتصادية والسياسية، بل الإستراتيجية الغربية كلها؛ حيث إن أصل وجود دولة إسرائيل بُنِي على أساس حماية المصالح الغربية والدفاع عنها؛ لذا شكَّل الدعم الغربي أساساً في النشاط الإسرائيلي؛ تحقيقاً لتلك المصالح المتقاطعة والمشتركة، فأصبح من الطبيعي توجه إسرائيل إلى أفريقيا لتحل محل الاستعمار الغربي.

كما أن موقع السودان الفريد في القارة الأفريقية لابد أن يجعله موضع اهتمام الفكر الإسرائيلي الصهيوني الغربي، وأن تشمَله تلك المخططات التي تهدف إلى تمزيقه أو تحويله إلى دولة أفريقية زنجية، وتنهي ارتباطه بالدول العربية ،وتقضي على الإسلام فيه، وتمنع عبورَه إلى الدول الأفريقية المجاورة كما حدث في السابق؛ حيث خوطب اللورد كرومر حاكم عام السودان في العهد البريطاني من قِبَل هرتزل وحاييم وايزمان لإقامة وطن قومي لليهود في السودان عام ١٩٠٣م، وهو ما يعد مؤشراً على هذا الاهتمام به منذ القِدَم وبأفريقيا ومن هنا ظهر اهتمام إسرائيل بالجاليات اليهودية ودورها في قيام الوطن القومي واليهود الأشكناز في شمال أفريقيا وشرقها، واليهود السفاراديم في الشمال

الأفريقي،ونجد أن اليهود الفلاشا قد جرى ترحيلهم من أثيوبيا عبر السودان،وقد لعبت الجاليات اليهودية دوراً كبيراً في تنفيذ الأهداف الإسرائيلية من حيث الدعمُ المادي منذ قيام المؤتمر الأول في بازل عام ١٨٩٧م، ومثلت مركزاً للإمداد بالمعلومات عن القارة الأفريقية التي تعتبر بعض مناطقها مناطق اهتمام يهودي كمنابع النيل في منطقة البحيرات والهضبة الأثيوبية ومجرى نهر النيل.

الأهمية الإستراتيجية للصحراء الكبرى والبحر الأحمر

تمتد الصحراء من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر ، عابرة حدود ١٠ دول، على مساحة قدرها ٨.٦ مليون كلم مربع، بطول ٤٥٠٠ كلم وعرض يتراوح بين ١٥٠٠ و١٨٠٠ كلم، وتحتوي على ٥ سلاسل جبلية وعرة، ويبلغ ارتفاع قمة سلسلة جبال تيبستي (جنوب ليبيا، شمال تشاد)٣٤١٥ مترا، وسلسلة جبال الهقار جنوب الجزائر ٢٩١٨ متراً،ومناخها قاسي وجاف، وتبلغ درجة الحرارة ٥٥ درجة مئوية، صيفاً وتنخفض إلى ٥ درجات تحت الصفر خلال ليالي الشتاء، أما ما سمي منطقة الساحل فهي المنطقة المحيطة بالصحراء، التي تحدها جنوباً مالي والنيجر وتشاد، وتحدها من الجانب الشمالي والشرقي موريتانيا والجزائر وليبيا ويسكن المنطقة المحيطة بالصحراء حوالي

٨٠ مليون نسمة سنة ٢٠٠٨، ويعاني حوالي ٧ ملايين نسمة من نقص الغذاء بشكل مستمر، إضافة إلى خطر التصحر الذي أتى على أراض بعرض ٢٥٠ كيلومتر، وامتداد ٦٠٠٠ كيلومتر، خلال قرن واحد، مما يعرض الرعي وتربية الحيوانات وزراعة الحبوب للخطر، وبالتالي حياة البشر الذين يعيشون في منطقة الصحراء، وانخفاض نسبة المياه في نهر النيجر وفي بحيرة تشاد حيث انخفضت نسبة المياه إلى الثلث خلال نصف قرن، ويحتوي باطن الصحراء على أكبر كمية مائية عميقة في العالم، وعلى اليورانيوم والنفط والغاز والذهب واللؤلؤ والكوبالت، وأكثر من ٣٠ معدن،منها النادر والنفيس ولم تستفد شعوب المنطقة المتاخمة للصحراء من خيراتها، فسكان جنوب الجزائر حيث حقول النفط والغاز، يعانون من البطالة والفقر، ويقومون بحركات احتجاج بشكل مستمر، أما في النيجر فإن نصف السكان في حالة مجاعة، وتعاني نسبة كبيرة من سكان تشاد ومالي وموريتانيا من الجوع والفقر ولم تسدد الدول المانحة سوى ثلث المبالغ المالية التي التزمت بدفعها وتعتبر النيجر نموذجاً صارخاً للتناقض بين ثراء باطن الأرض وفقر السكان الذين يعيشون على سطحها، حيث تستغل مجموعة الطاقة النووية الفرنسية آريفا أكبر شركة طاقة نووية عالمية، والوحيدة التي تدير كافة العمليات من استخراج اليورانيوم إلى معالجة ودفن النفايات، يورانيوم النيجر الذي يغطي نصف احتياجاتها كما تستغل مؤسسة النفط الوطنية الصينية نفط

النيجر ومعادن أخرى وتشغل السكان المحليين في ظروف أقرب إلى العبودية منها إلى الإستغلال الرأسمالي، وتعد الشركتان الفرنسية والصينية، أكبر مستثمرين في النيجر، الذي لا يزال من أفقر بلدان العالم وتعتزم أوروبا تنفيذ الخطة الشمسية المتوسطية، لاستغلال شمس جنوب المغرب العربي، وتحويلها إلى طاقة شمسية مربوطة مباشرة بشبكة الطاقة الأوروبية، التي تستأثر بها، ورصدت لها اعتمادات قدرها ٦٠٠ مليون دولاراً سنوياً، وأقر نادي روما، بالإشتراك مع مؤسسات مالية وصناعية أوروبية خاصة من ألمانيا خطة تحت اسم ديزرتيك، تتلخص في نشر حقول من المرايا لجمع أشعة الشمس، وتحويلها إلى طاقة تولد يوميا أكثر من ١٥ بالمائة من احتياجات أوروبا من الطاقة النظيفة، وهو مشروع أوروبي لمصلحة أوروبا، مضر بالبيئة وبسكان المنطقة، لأنه يتطلب كميات كبيرة من المياه لتنظيف المرايا، من آثار غبار الرياح الرملية ولتبريد المحركات، وتبلغ التكلفة الإجمالية للمشروع ٤٠٠ مليار دولاراً على أقل تقدير وهناك مشروع أمريكي أوروبي مشترك لإنشاء خط أنابيب عابرة للصحراء، لنقل ٣٠ مليار متر مكعب سنوياً، من الغاز من خليج غينيا، ونيجيريا والنيجر والجزائر، نحو أوروبا، بتكلفة أولية قدرت بـ ١٥ مليار دولار كما تجلت أهمية البحر الأحمر منذ أن استغلّه قدماء المصريين لبلوغ بلاد بونت الصومال حالياً منذ عشرين قرناً لجلب العطور والبخور والأعشاب والأخشاب من اليمن والهند وشرق أفريقيا

لبيعها في الدول الأوروبية وبعد الغزو الإغريقي لمصر اتّبع البطالمة السياسة الفرعونية نفسها، إلى جانب اهتمامهم بجمع المعلومات عن سواحل البحر الأحمر، وإنشاء موانئ جديدة في الساحل الغربي لتنشيط التجارة التي يمارسونها .

انّ الأمن القومي العربي كلٌ لا يتجزأ، وحدوث أي خرق في أي مكان من جداره دون الإسراع في العمل على ترميمه يؤدي إلى اتساع رقعته، ويتسبب في وجود ثغرات وفجوات أخرى تجعله يتداعى ويوشك على السقوط، وهذه حقيقة أكّدتها عوامل التاريخ والجغرافية وجسّدتها المحن والانتصارات والهزائم العربية ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية وبداية الحرب الباردة، أصبحت ساحة صراع بين القوتين العظميين على مناطق النفوذ في المنطقة العربية وشرق أفريقيا والمحيط الهندي، خاصة بعد أن تعاظمت الثروة النفطية في منطقة الخليج وعبور ٦٠% من نفط الخليج إلى أوروبا واليابان والولايات المتحدة عن طريق باب المندب وجعله أكثر عرضة للتهديد بحروب شاملة أو بحروب إقليمية محدودة مثل التي نشبت بين أثيوبيا والصومال والحرب الإريترية الأثيوبية.. إلخ ولإسرائيل أهدافاً بعيدة المدى في البحر الأحمر في مقدمتها :

١- فرض الوجود البحري الإسرائيلي في مياهه، حيث جنّدت إسرائيل طرادات حراسة سريعة لمواكبة وحماية السفن التجارية التي تحمل بضائع إسرائيلية .

٢- خلق عمق استراتيجي ووجود عسكري مباشر يسهم في تشتيت الجهد العربي العسكري على طول البحر الأحمر، علماً بأن طول السواحل العربية هناك ٤٩٥٨ كم بينما لإسرائيل ١١ كم فقط.

٣- كسر طريق الحصار العربي السياسي والعسكري في البحر الأحمر الذي يمكن أن يُفرض عليها في أية لحظة.

٤- تبقى مضائق تيران وباب المندب محط أنظار إسرائيل من جهة والدول الكبرى كالولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى وخير مثال على ذلك أنّ الولايات المتحدة تخوض منذ الحرب العالمية الثانية حرباً سريّة في منطقة البحر الأحمر، مدركة أنّ تحركها غرب وجنوب قناة السويس يوفر لها مجالاً للتحرك شرق قناة السويس، ولهذا حصلت على قاعدة هويلس في ليبيا وقاعدة راديو مارينا في إريتريا سابقاً.

٥- إنّ ميناء إيلات يظلّ يشكل نقطة اختراق خطيرة للسواحل العربية المطلّة على البحر الأحمر، إذْ إنّه يمثّل خطراً عسكرياً واقتصادياً على الأمة العربية، وهو يمثّل كذلك الشرعية المفروضة لاحتساب إسرائيل ضمن دول البحر الأحمر، لأنها تُطلّ على مياهه، كما يمثّل عنصر اضطراب وقلق في سلام وأمن واستقرار المنطقة، وفي شبكة النقل العالمي المرتكزة على منافذ البحر الأحمر.

٦- لا تزال إسرائيل تفكّر وتعمل فى اتجاه طرح فكرة تدويل هذه المضائق

والممرات ابتداءاً من عام ١٩٥٦ وحتى الآن، وبدعمٍ أمريكي أوروبي لهذه الفكرة .

٧- وضعت إسرائيل مضيق باب المندب في أعلى قائمة استراتيجيتها البحرية مدركة أهمية العمق الاستراتيجي لكيانها وارتباطه بأمنها وقدرتها على التوسع العسكري مستقبلاً، ولهذا عملت منذ ستينيات القرن الماضي من أجل تعزيز علاقاتها مع الدول الأفريقية، وبصورة خاصة دول الشرق الأفريقي المطلّة على البحر الأحمر باعتباره ممراً مصيرياً بالنسبة لها .

ولقد أصبحت إسرائيل من أوائل الدول التي تقدم المساعدات للدول الأفريقية في مجالات الاقتصاد والزراعة، الأمر الذي يشير إلى اهتمام إسرائيل بدول الشرق الأفريقي خاصة المطلّة منها على مياه البحر الأحمر كذلك ركّزت إسرائيل على العلاقات مع أثيوبيا لتصل إلى منطقة إريتريا التي لها سواحل طويلة مطلّة على البحر الأحمر، وجزر قريبة من مضيق باب المندب، حتى تكثف نشاطها على الصعيدين الاقتصادي والعسكري، فمن الناحية الاقتصادية تعد شركة أنكودي من أكبر الشركات الإسرائيلية في إريتريا،وهي شركة لتعبئة اللحوم، وقد توسعت هذه الشركة بشكل مخيف ومن الناحية العسكرية أقامت إسرائيل مدرسة عسكرية في إريتريا لتدريب الجنود الأثيوبيين على حرب العصابات لمواجهة الثوار الإريتريين تديرها مجموعة من الخبراء الإسرائيليين

المتخصصين وقد سمحت أثيوبيا لإسرائيل ببناء قواعد عسكرية في الجزء الغربي من إريتريا أهمها قاعدتا رواحباب ومكهلاوي على حدود السودان، وقاعدة جوية في جزيرة حالب وجزيرة فاطمة عند مضيق باب المندب وهناك محاولات أمريكية - إسرائيلية جادة لإلغاء الصفة العربية عن البحر الأحمر والسعي لإشراك دول أفريقية في حق الإشراف على مضيق باب المندب بوابة البحر الأحمر، بحيث لا يبقى بإشراف دولة عربية هي اليمن،وقد سعت إسرائيل إلى تحقيق هدفها هذا بتشجيع إريتريا على احتلال جزر حنيش اليمنية، وقد فشل ذلك الاحتلال بعد أن أقرّ التحكيم الدولي بتبعية هذه الجزر لليمن وتشكّل النزاعات القبلية والحدودية والدينية في أفريقيا بيئة مناسبة للوجود والتأثير الأجنبيين، فعلى امتداد حوض النيل بدءاً من البحيرات العظمى ومروراً بالهضبة الأثيوبية وانتهاءاً بجنوب السودان، حيث تتواصل الأحداث الدموية والانقلابات يبدو طيف إسرائيل واضحاً مرة ومتدثراً بالغطاء الأمريكي مرة، ومختفياً متسللاً مرة ثالثة، إنه يحاول أن يسير مع النيل من منابعه وروافده وصولاً إلى أن تصبح إسرائيل شريكاً في استغلال قدر من مياه النيل وشريكة أيضاً في التحكّم فى مداخل البحر الأحمر .

وكان لغياب إستراتيجية عربية موحدة من ناحية وتنامي القوى السياسية لدول المنطقة العربية بسرعة من ناحية أخرى، وميل كل منها نحو صناعة عمق استراتيجي لقوتها من ناحية ثالثة ، أثر بالغ في تقسيم

العمق العربي الكبير إلى وحدات إقليمية أصغر، مما ساعد على توفير المناخ المناسب لإيران لتقوم بالضغط على الجناح الشرقي للمنطقة العربية ، كما تحاول تركيا بعد فترة إهمال طويلة الضغط على الشمال الشرقي للمنطقة العربية لصناعة عمق استراتيجي لها، وتقوم إسرائيل بتعقيد خريطة الصراع الاستراتيجي بتعميق الخلافات والصراعات وتفريغ المنطقة العربية من إمكانات التنمية من ناحية ، ومحاولة تحطيم الآلة العسكرية للقوى المتنامية من ناحية ثانية ، وصناعة عمق أمنى لها بزيادة المناطق شبة الحاجزة وقت السلم ، ونقل ساحة المعارك إلى أراضى الجيران وقت الحرب ، ومراقبة الصراع على العمق العربي من ناحية أخرى ،مما جعل مفهوم الأمن القومي العربي يتراوح بين الأماني القومية صعبة التحقيق ، والأحداث التي أثبتت عدم وجود هذا المفهوم ، خاصة في ٢ أغسطس عام ١٩٩٠ حين قامت إحدى الدول العربية باحتلال دولة عربية أخرى لينهار أحد أعمدة نظرية الأمن القومي العربي ، وهو افتراض أن التهديدات تأتى من الخارج، ثم جاءت الحرب الأمريكية على العراق عام ٢٠٠٣ لتكشف عجز الدول العربية عن بلورة تصور أمنى وإقليمي متكامل ، وتؤكد أنه لا يوجد نظام أمني حقيقي يجمع بين دول المنطقة، وأن ما هو قائم في واقع الأمر، نظرية تحمل اسم الأمن القومي العربي تعبر فقط عما يجب أن يكون.

أهمية أفريقيا لصانعى القرار فى إسرائيل:

ولقد شكلت القارة الأفريقية بإستمرار أهمية مركزية لصانعى القرار اليهود قبل وبعد تأسيس الحركة الصهيونية العالمية وقيام دولة إسرائيل فيما بعد عام ١٩٤٨ م، وهنالك العديد من العوامل التى أدت إلى أن تشكل القارة الأفريقية تلك الأهمية لليهود والحركة الصهيونية العالمية، منها أولاً أن العديد من دولها تجاور الجزء العربى من القارة الأفريقية وهذا العامل بالتحديد جعل دولة إسرائيل تضع له أهمية قصوى في سياستها إتجاه القارة الأفريقية والمثال على ذلك توجهها لإقامة علاقات مع أثيوبيا، ونظراً لتواجد بعض الجاليات اليهودية فى أفريقيا نجد أن هذه الجاليات أصبحت تشكل على الرغم من قلتها أهمية لشعب إسرائيل ودولة إسرائيل والمثال على ذلك يهود جنوب أفريقيا وأثيوبيا، كل ذلك جعل من القارة الأفريقية السمراء هدفاً للحركة الصهيونية العالمية ليس فقط مع قيام دولة إسرائيل على الأراضى الفلسطينية العربية المحتلة عام ١٩٤٨ م، وإنما مع ظهور الحركة الصهيونية في أواخر القرن الثامن عشر حيث كانت هناك مداولات داخل الحركة الصهيونية قبل انعقاد مؤتمر بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ م، تناقش خيارات إقامة دولة يهودية بأوغندا وكينيا إلى جانب خيارى إقامة هذه الدولة اليهودية فى فلسطين والأرجنتين، وبناءاً على إقتراح الحركة الصهيونية بإقامة دولة يهودية

بأوغندا وكينيا بأفريقيا إمتدت روابطها بالقارة الأفريقية، وإن كانت هذه الروابط ليست على مستوى سياسى متطور، ولكن ظهور ليبيريا(١) كأول الدول الأفريقية تأييداً لقيام دولة إسرائيل وموافقتها على مشروع قرار التقسيم عام ١٩٤٧ م وإعترافها بإسرائيل وإمتداد هذه العلاقة لعقد معاهدة صداقة وتعاون، ثم تلتها بعد ذلك العديد من الدول الأفريقية التى سارت على نفس مسارها، أما أثيوبيا(٢) فلم تقم علاقات مع إسرائيل إلا عام١٩٦١ م، كما أنها امتنعت عن التصويت على قرار التقسيم عام ١٩٤٧ م، هاتين الدولتين كانتا الوحيدتين من القارة الأفريقية الحاضرتين في جلسة التصويت على قرار التقسيم نتيجة لعدم إستغلال العديد من الدول الأفريقية الأخرى من الإستعمار الغربى، ولعل إقامة هاتين الدولتين الأفريقتين ليبريا الواقعة فى أقصى الغرب الإفريقى،وفيما بعد أثيوبيا الواقعة فى الشرق الأفريقى، بالإضافة لوجود الجالية اليهودية فى جنوب أفريقيا وعمق روابطها مع نظام الفصل العنصرى هناك، كله مهد الطريق للتغلغل الإسرائيلى فى أفريقيا.

وبنهاية عام ١٩٦٧ أصبح لإسرائيل ٣٢ بعثة دبلوماسية فى القارة الأفريقية منها ٣٠ بعثة على مستوى سفارة وبعثتين على مستوى قنصلية مع دولتى جنوب أفريقيا وجزيرة موريشيوس، وبنفس القدر

---

١ - العلاقات الإسرائيلية الأفريقية - عادل الجادر ص٢٧ .

٢ - مرجع سابق، ص٧٥ .

أقامت تلك الدول الأفريقية التى فتحت بها إسرائيل سفارات وقنصليات، تمثيلاً دبلوماسياً لها في إسرائيل وقد شهدت هذه المرحلة من العلاقات الأفريقية الإسرائيلية تبادلاً مستمراً للزيارات الرسمية من كل من الجانبين الأفريقي والإسرائيلي، وعلى سبيل المثال قامت وزيرة الخارجية الإسرائيلية السابقة فى تلك الفترة ما بين ١٩٥٨ و١٩٦٣ م جولدامائير بزيارة العديد من الدول الأفريقية منها ليبيريا وغانا ونيجيريا والسنغال،وقد قام أيضا إسحاق بن زفى رئيس إسرائيل السابق عام ١٩٦٢ م بزيارة خمس دول أفريقية، وقام رئيس الوزراء الأسبق ليفى أشكول عام ١٩٦٦ بجولة أفريقية شملت كل من زائير، أوغندا، ليبيريا، السنغال ومدغشقر، وفى الآونة الأخيرة قام رئيس الوزراء الإسرائيلى الحالى ليبرمان فى بدايات شهر سبتمبر من عام ٢٠٠٩ بجولة شملت خمسة دول أفريقية إبتدئها من أثيوبيا(١) حيث إفتتح فيها المنتدى الإقتصادى الإسرائيلى الأثيوبى ومنها توجه إلى أوغندا، رواندا، غانا و نيجريا، موقعاً العديد من الإتفاقيات فى شتى المجالات السياسية والإقتصادية والأمنية والعسكرية كما أن القارة الأفريقية كانت مستهدفة داخل المخطط الصهيوني الذي حدد بعض مناطقها كمواقع إحتياطية له في حالة عدم قيام الدولة اليهودية فى موقعها فى الأراضى الفلسطينية

١ - أزمة تقاسم المياه بين دول حوض النيل بين الصراع والتعاون - عاصم فتح الرحمن - ص١١

العربية، وأصبحت منطقة شرق أفريقيا التى تضم كل من أثيوبيا، جنوب السودان وشمال أوغندا أحد أهم المواقع البديلة لقيام الدولة اليهودية، رغم أن الامتداد الصهيوني شمل معظم أجزاء القارة السمراء، إذ وجد العديد من الباحثين أن التطلع الصهيوني يضع أيضا مناطق الإيبو فى جنوب نيجيريا كموقع آخر بديل له، كما تشكل جنوب أفريقيا موقعاً ثالثاً مشكلا مثلثاً يضع فى إعتباراته إحتواء المد الإسلامي في أفريقيا تمهيداً للقضاء عليه، كما رصدت العديد من الأبحاث والدراسات التي تتبعت علاقة إسرائيل بأفريقيا عبر أوجه مختلفة آخذة فى إعتبارها حروب الدولة العبرية مع العرب، أن الأهداف الحقيقية التي تجعل أفريقيا ذات أهمية استراتيجية للكيان الصهيوني هو الصهيونية العالمية.

أن شرق القارة الأفريقية بما فيه من ثروات مائية وطبيعية أخرى يعتبر رافداً إقتصادياً وجزءاً لا يتجزأ من إمتداد الأرض اليهودية مهماً للحركة الصهيونية.

التجمعات اليهودية فى القارة الأفريقية:

أفريقيا أصبحت تحتضن جاليات يهودية مختلفة ومتباينة الأحجام، ففى الشمال الأفريقى نجد اليهود السفاراديم الـذين قدموا من أسبانيا والبرتغال خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، كما نجد فى شمال وشرق أفريقيا جماعات اليهود الأشكيناز التى قدمت الى المنطقة

خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، بالإضافة إلى جماعات اليهود الفلاشا الأثيوبيين الذين يعدون من أفقر يهود العالم والذين لديهم إعتقاد راسخ بأنهم القبيلة المفقودة فى التاريخ اليهودى(١)،الأمر الذى أدى الى قيام إسرائيل بنقل معظم اليهود الفلاشا الى إسرائيل عبر السودان خلال منتصف ثمانينات القرن الماضى فى أكبر عملية سرية والتى سميت بعملية موسى بالتنسيق بين جهازى الموساد وجهاز الأمن السودانى برعاية المخابرات المركزية الأمريكية أثناء حقبة الرئيس السابق جعفر نميرى ولقد تعرف اليهود على القارة الأفريقية عبر البحر الأحمر من خلال متابعة هجرة المسلمين إلى أثيوبيا وعبر متابعة نهر النيل من مصبه إلى منبعه، وأيضا كان لليهود دوراً فى دولة مـــروى السودانية القديمة التى تحالفت مع اليهود ضد الآشوريين فى القرن الثامن قبل الميلاد(٢) ،ولليهود جاليات فى أفريقيا موجودة فى دول جنوب أفريقيا وكينيا وزائير وأوغندا وزمبابوى ونيجيريا وأثيوبيا، وتعتبر الجالية اليهودية فى أثيوبيا من أكبر الجاليات، كما أن هنالك إعتقاد راسخ أن هناك رابطة تاريخية بين الأحباش واليهود مفادها أن سيدنا سليمان

١ - العلاقات الإسرائيلية الأفريقية - الطاهر محمد الشيخ ص٣٤ . ٢ - مرجع سابق- ص٣٢

عليه السلام قد تزوج من الملكة بلقيس ملكة أكسيوم وأنجب منها ذرية من الملوك الأثيوبيين تجرى فى عروقهم دماء بنى صهيون(١)، اما الجالية اليهودية فى جنوب أفريقيا فهى تعتبر من أغنى الجاليات وأكثرها دعماً للكيان الصهيونى والدولة العبرية، والتى لها نفوذ سياسى وإقتصادى مؤثر فى السياسات الجنوب أفريقية فى عهد الحكم العنصرى وفى ظل الحكومات الديمقراطية التى حكمت البلاد بعد إنتهاء فترة الحكم العنصرى، والجدير بالذكر هنا أن جنوب أفريقيا هى الدولة التى ساهمتفى وجود الدولة الإسرائيلية على الخريطة الدولية حيث كانت هنالك علاقة قوية بين إسرائيل وحكومة الأقلية البيضاء التى أيدت الدولة العبرية منذ نشأتها فى ١٥ مايو ١٩٤٨ م،حيث إعترفت حكومة الأقلية البيضاء بإسرائيل فى ٢٤ مايو ١٩٤٨ م (٢)، ولقد وصلت العلاقة بين نظام الفصل العنصرى والدولة العبرية الى مرحلة العلاقات الإستراتيجية والتى توجت بإنتاج أول قنبلة ذرية إسرائيلية كإنتاج مشترك بين النظامين، وقد أقام نواة هذه العلاقات بين الكيان الصهيونى والكيان العنصرى فى جنوب أفريقيا سابقاً كل من الزعيم الصهيونى

١- جامعة أفريقيا العالمية - حسن مكى، مجلة المنتدى، العدد الثانى يوليو ١٩٧٧م ص٢٦

٢- إسرائيل وجنوب أفريقيا - ريتشارد.ب ستيفنز وعبدالوهاب المسيرى- ص٧ - ١٥ .

حاييم وايزمان ورئيس حكومة الفصل العنصرى فى ذلك الوقت جان كريستان ولقد لعبت الجاليات اليهودية الموجودة فى أفريقيا منذ قيام المؤتمر الأول للحركة الصهيونية فى مدينة بازل السويسرية فى أواخر القرن التاسع عشر على بسط نفوذ الحركة الصهيونية والدولة العبرية فى القارة الأفريقية، وأصبحت مركزاً هاماً لإمداد الحركة الصهيونية وإسرائيل فيما بعد بالأموال ومركزا رئيسيا للمعلومات عن القارة الأفريقية التى تشكل بعض مناطقها منابع النيل فى منطقة البحيرات والهضبة الأثيوبية ومجرى نهر النيل إمتداداً تاريخياً لدولة الكيان الإسرائيلى حسب رؤية الحركة الصهيونية، كما ساعدت فترة الوجود الإستعمارى فى القارة الأفريقية إلى زيادة الإختراق للنفوذ اليهودى فى القارة الأفريقية عن طريق الموظفين اليهود الذين قدموا إلى القارة ضمن الإدارات الإستعمارية(١) والذين إنصب جل جهدهم لخدمة مخططات الحركة الصهيونية العالمية والدولة الإسرائيلية عبر توسيع مظلة نفوذها السياسى والإقتصادى فى القارة الأفريقية وبالأخص فى منطقة حوض النيل وشرق أفريقيا.

١ -مرجع سابق، ص٧٤ .